

## 1256-يوميات الغضب والبلطجة

ولادة شعب جديد قديم (8 من 1999)

**الفرق بين "الفتوة" و"البلطجي" و"الرئيس" (2 من 2)**

من قرأ نشرة أمس، والأهم من تفضل بأن دفعته هذه النشرة إلى العودة إلى ملحمة الخرافيش وقرأ الحكاية السادسة "شهد الملكة" لا بد وأنه انتبه إلى وجه الشبه بين الفتوة "نوح الغراب" والمأمور "فؤاد عبد التواب"، ثم لعله انتبه إلى طريقة التعاون والتفاهم بينهما لإدارة أحوال الناس أو إرهابهم، أو إذلالهم أو كل ذلك، ولعله لاحظ كيف أن المأمور فاق الفتوة "نوح الغراب" في القسوة والإجرام، حين دبر أن يقتله شخصياً أثناء افتعال معركة بين فتوة العطوف وبين عصابة نوح في ليلة عرسه، المأمور انقلب إلى فتوة وهو الذي دبر مقتل نوح الغراب في زفته يوم عرسه تحت ستار فض الاشتباك مع فتوة العطوف، ليفوز بالعروس "زهيرة" لنفسه، لكنه في النهاية انسحب جباناً منقولاً إلى الصعيد بسلطة أعلى!

عدت أقرأ هذه المقطعات، المنشورة أمس ورغم أنها ظلمت المتن متكاملًا، فإذا بي أكتشف مدى التداخل بين الأدوار، فالمأمور -رسمياً- يمثل ما قصدت به هنا معنى "الرئيس" لكنه فتوة حتى القتل، ونوح الغراب يمثل الفتوة لكنه رئيس يستعين به المأمور في تأمين بعض المستغيثين به سرا وعلانية، وفتوة العطوف "بلطجي" يتفق مع "نوح الغراب مثل سائر فتوات الأحياء المجاورة أن تمر الزفة بسلام، لكنه ينقلب بلطجياً حين يبيع نفسه للمأمور ويخون الاتفاق ليفسد الفرح ويتيح الفرصة للمأمور أن يتصنع فض الاشتباك ويقتل غريمه علانية، هكذا تداخلت الأدوار فيما بين السلطة الرسمية (التي نسميها هنا "الرئيس") وبين القيادة العرفية المختلطة بالقسوة والحماية معاً، وهي التي يتولاها "الفتوة"، ثم بينهما وبين قوة ثالثة عشوائية خائنة غاشمة بدائية تستعمل بعض الوقت لتدعيم هذا أو ذاك، وهي التي نسمى من يارسها "البلطجي"، وهو من يمثلها هنا فتوة العطوف.



الرعب اللازم، وحين تولى الأمر، مازلت أذكر منظره وهو يمثل المصرى الطيب، ويقول ما عنده من قلبه بتواضع صادق، وقد كررت الاستشهاد بهذا المشهد عدة مرات (كما فعل آخرون) حين أعلن آنذاك ما يفيد أن المنصب أكبر من توقعاته، وأنه لم يكن في حسابه أن يليه أبداً، فوصلني من ذلك أنه "أعينوني عليه لو سمحتم"، لكن ربما لم تستمر هذه الحالة بضعة أيام، فقد أخافوه أخافوه أخافوه، وليس معنى أنه طيار ومحارب ألا يخاف، فهذا موقف وذاك آخر، وأعلنت حالة الطوارئ بمبررات موضوعية فعلاً، فماذا بعد اغتيال رئيس دولة هكذا!! خاصة لو ثبتت الشبهة اللاحقة التي ظهرت بعد سنوات، بأن التدبير كان بيد أجنبية، أمريكا بالذات، هل يا ترى تفسر هذه المسألة رغبة أمريكا في التخلص من مبارك الآن، المهم نرجع مرجوعنا لخوف مبارك، وقد ظهر لي مؤخراً أنه تعامل مع الأحداث الأخيرة بنفس نوع الخوف، وقد استنتجت ذلك بالذات حين قَدِمَ وقت بدء حظر التجول من الساعة الرابعة إلى الساعة الثالثة، سواء هو الذى أمر مباشرة بذلك، أو أخافوه فوافق، هذا عمل لا يقدم عليه إلا خائف، وخائف جداً، فقد شعوره بالوقت، كما فقد منطق الأمان، وقد رجحت أن صدور مثل هذا الأمر بهذه "الساعة" هكذا هو أسلوب الخائف البعيد عن الواقع تماماً، إذ ماذا تفعل ساعة حظر زيادة؟ يا ترى هل هذا النوع من الخوف الأعمى هو هو السبب في مدّ قانون الطوارئ هكذا المرة بعد المرة؟ كان كل مدّ يمثل عندي كيف عاد منظر المنصة بشكل أو بآخر إلى منطقة غائرة من وعيه، وكان قانون الطوارئ هو الذى سيمنع تكرار مثل هذا الحادث بالنسبة له

الأرجح أن كل هذا حدث دون أن يدري الرئيس، أو على الأقل بعيداً عن بؤرة وعيه.

على نفس القياس رأيت هذه الساعة الزيادة في منع التجول كأنها الرمز المصغر لقانون الطوارئ، كأنها هى التى ستمنع اقتحام القصر الجمهورى لتحويله، مرة أخرى هو إنسان ومن حقه أن يخاف، لكن إذا استمر هذا الخوف الشخصى طول هذه المدة، من فلاح مصرى طيب مثله (في أصل أصله على الأقل) فكان عليه لو أدركه أن يترك منصبه لمن لا يخاف، وهذا لا يعيبه، الأرجح عندي أنه أضيف إلى صفة الرئيس الفلاح المصرى الطيب هذا منذ ذلك الحين سمات جديدة هى في ظاهرها عكس الخوف لكن وظيفتها هى أن تخفيه، فبدت كأنها القوة، لكنها ظلت قوة مدعومة من خارجه أساساً، مدعومة بأصحاب المصلحة والوصاية من المقربين الذين نعرفهم، مدعومة ليس بأن ينفخوا فيه مزيداً من مظاهر القوة، ولكن بأن يزرعوا داخله أكثر فأكثر رعباً أخبث، رعباً، من مخاطر الموت والاغتيال، وكلما زاد الخوف، تثبت قانون الطوارئ، وزاد تخويفه فزادت مظاهر قوة، وليس بالضرورة قوته، وكذلك زادت تصرفات سطوة من حوله، وكانت كل تلك المظاهر تتفاقم ويكشف عنها علانية في مواسم الانتخابات بوجه خاص، مما نعرف كلنا تفصيله.

لست متأكدا مما فعلته فيه أحداث الأمن المركزي (في 1986/2/28) ولم تمضى على ولايته سوى خمس سنوات لكنني أعرف ما فعلته، في أنا شخصيا، حتى كتبت نقدا طويلا جدا في كل أحوال البلد، ولم أجد من يقبل نشره، ولم يكن عندي موقع ولا مجنون ، فنشرته في مجلتي "الخصوصية"، "الإنسان والتطور" (المجلة الأم لهذه النشرة، عدد يوليو 1986 حوار استجابة ممدودة حول حكاية انفجار جهاز الأمن)، ثم قمت بإيجازه وتحديثه مؤخرا في الوفد حين وجدت أن شيئا لم يتغير بعد أكثر من ربع قرن، ويبدو أن هذا المقال لم يكف ليحتوى خوفاً وغضباً، فخرج مني شعراً لم أنشره ، خرج في قصيدة بعنوان "تراكم المخاتلة"، ليعلن العنوان أن هذا الانفجار هو النتيجة الطبيعية لتراكم الخداع، وانتهت تلك القصيدة بأنه "حلم ضاع بفضل الثائر" بدلا من "حلم لاج لعين الساهر" (وهو ما ورد في نفس القصيدة).

نقرأ معا:

.....

-4-

أمـزنا بـليلٍ

يموتُ الأملُ

.....

خَظَرِ التَّجَوُّلَ مِنْ قَبِيلِ الغَسَقِ .

حَتَّى جَنَازِ الرُّؤْيَا المُنْبَثِقَةِ .

-5-

قِفْ.: مَنُ هُنَاكَ؟

مَا كَلِمَةُ اللَّيْلِ؟

"انقضى" "؟؟؟"

- اللغزُ تحت المِنضدة!

أذُن لهُ بِالضَّبْطِ، إِلا أربعةُ

-6-

.....

.....

"حُـلْمٌ لَاحَ لَعَيْنِ الشَّاهِرِ"

وهمسَةٌ شَارِدَةٌ تَقْنَفَدَتْ .

تهاوٲ.

تماوتٲٲ، فماتٲٲ.

أجنٲة الرياح،

حضرة السلٲان،

نابٲ القهر،

لونٲ البقره

"حلمٲ ضاعٲ بفضلِ الثائر"

\*\*\*

ظل الرئيس يترجح بين دور "الرئيس"، الذى كان أوضح ما يكون فى زيارته الخارجية، وربما فى سياسته الخارجية، وبين دور "الفتوة" (الخائف دون أن يعرف) (من فضلك هذا ليس تحليلاً نفسياً فأننا ضد ذلك تماماً تماماً، هذه مجرد فروض مواطن مشارك مجتهد)، وكلما خاف مدٲ قانون الطوارئ، أو قام بزياراته للخارج، أو زاره أحد من الخارج، كان يمارس دور الرئيس دون تلوث بدورئ الفتوة أو البلطجة فى كل ذلك، ثم جاءت الجراحة الأخيرة فى ألمانيا، فاقترب القدر أكثر، وإذا بنا نفاجاً به شاباً يتحدى، ويؤكد كفاءته الصحية بمجهود لا يتوقف، وكأنه ينقى الزمن، ويتنكر للجراحة ومغزاه، ورفضت أن أتذكر "جلال صاحب الجلالة" (ملحمة الحرافيش أيضاً).

وبعد

هكذا ظهرت ملامح الفتونة أكثر فأكثر ثم:

هذا ما وضعته من فروض لفض التلوث Decontamination بين دور الرئيس، ودور الفتوة الخائف من الداخل، لكننى أبدا لم ألاحظ عليه دور البلطجة، بالرغم من استخفاقه بتحدثه "الهلئ" أحياناً، وقفشاته التى لم تضحكنى غالباً، مع كل احترامى.

ليس عيباً أن يقوم رئيس دولة بدور البلطجة فكاهة أو فجأة رغماً عنه، لكنه لا يجوز له أن يمارس البلطجة وهو يقوم بدوره كرئيس، لكن فلتة حدثت مؤخرًا جعلتني أراجع فروضى، فهل كان يخفيها طول الوقت، أم كانت تنمو بداخله من ورائه؟

حين وصف جمال عبد الناصر المرحوم الملك حسين قائلاً "حسين ابن زين" (وليس ابن طلال) لم يكن ذلك دليل على أن عبد الناصر كان بلطجياً مع أنه ما قاله كان كلام بلطجية، لكن عبد الناصر مارس دور الفتوة بجوار دور الرئيس بشكل مزمناً، وحين قال السادات أن للديمقراطية مبالغ وأنياب، كان فتوة أكثر منه رئيساً، ثم إن فلتات البلطجة لا تقتصر على رؤسائنا المصريين أو العرب، فأننا لا أعرف من من قراء هذه النشرة كان فى سن تسمح له أن يذكر خروشوف وهو رئيس الاتحاد

السوفيتي بكل جلاله، حين احتد ووضع حذاءه أمامه وهو جالس في مقعده الرسمي في الأمم المتحدة،

لكن حين قال الرئيس مؤخرا "خليهم يتسلوا" وصلتني ليس على أنها فلتة لسان بل شعرت شخصا، ورغم غلبة مشاعري الطيبة عموما تجاهه، أنه صفعني شخصا، وحين رحت أخمس آثار الصفحة، شعرت بما بلبل يدي فعلمت، أنها لم تكن صفحة فحسب... مع أنني لست من أعضاء البرلمان الموازي، ولا أفهم معناه، ولا من وزارة الظل، صحيح أنني معارض حتى النخاع، لكن لا أنا ولا هم نتسلى بما نحاول، المهم: هل وصلت هذه الصفحة فالبصقة إلى هؤلاء الشباب فكانت الشرارة التي جعلتهم يكشفون له عن طبيعة تسليتهم ومداهها بكل هذا العنف والإصرار؟

للأسف، فإنه منذ هذه اللحظة التي سمعت فيها هذه الكلمة، ووصلتني هذه السخرية، تغيرت علاقتي برئيسي، وتراجعت عن تفويتي لأخطائه وأخطاء من حوله،

### وأخيرا:

شعرت وأنا أكتب هذه النشرة الآن أن الانتقال من دور الرئيس إلى دور الفتوة إلى دور البلطجة قد حدث تدريجيا جدا، دون أن ينتبه الرئيس إلى ما يدبرونه له للتمادي في هذا التحول، (أو ربما كان يدري)، لكنه ظهر منه فجأة، وبشكل لا جدال في أنه ليس عشوائيا،

إذن فقد نعى الفتوة بداخله حتى ضغط على الرئيس فظهر ما يخفيه، وهو أنه أصبح الفتوة الذي أمسك كل خيوط اللعبة في يده خيطا خيطا، هو ورجاله، والباقيون يذهبون يلعبون بعيدا، أو لا مانع أن يتسلوا في الخوازي المجاورة للقصر.

### وبعد

ياه!!! فاتتني نقلة مهمة تكمل فروض خوف المنصة، ورعب الأمن المركزي، وهي تتعلق باحتمال تفاقم خوف الرئيس الداخلي، ومن ثم نمو فتونته الظاهرة لتخفي خوفه، بعد محاولة اغتياله في أديس أبابا، وما تبعها من فرحة حقيقية من كل الشعب الأصيل بنجاته، ربما لا تقل عن فرحة الشارع يوم نجاة عبد الناصر من حادث المنشية.

هذا وقد تناولت خوفي عليه من آثار ذلك حتى نبهته علانية إلى احتمال تسحب غرور محتمل إذا لم يحسن فهم الفرحة الطيبة بنجاته من شعب صبور طيب، وكتبت في ذلك -تفصيلا- في خطاب مفتوح تم نشره في الوفد أيضا في: 17-11-1995، بعنوان: **"سيادة الرئيس كيف تحمد الله على سلامتكم".**

وإلى الغد نكمل الحديث بعد ساعات حظر التجول.

- لقد فهمت لماذا اغتالت أمريكا السادات - إن ثبت ذلك وقد ثبت عندي تقريبا - لكنني لم أفهم أبدا وحتى الآن لماذا تريد أن تتخلص من مبارك، يا ترى هل حصلت على حليف أفضل، لا أدري